

ولقد كان « نابليون » يظن أن المصريين سيستقبلونه  
هاتفين مرحبين — وسيضمون فوق رأسه أكاليل النار .. أينما  
سار ، وحيثما كان — وكان أبدا ما يتصوره .. أن يقف  
المصريون في وجهه .. أو يقابلوه بالقوة والمدوان !  
ولذلك بعث إلى قنصل فرنسا يستدعيه ، قبل أن يبدأ الجنود  
بالنزول إلى البر ... وفي اليوم التالي عاد القنصل ومعه عدد من البحارة  
أرسلهم السيد محمد كريم لحراسته ، وليمودوا به بمد أن ينتهى  
من مقابلته للفرنسيين

فأخبرهم القنصل بثورة الشعب وهياجه ، وأستمداده للتضال  
والمقاومة .. كما أخبرهم أن أسطولا إنجليزيا يبحث عنهم في  
عرض البحر .. وأنه كان بالشر ولم يبادره إلا عشية أمس الأول  
فلما سمع نابليون حديث القنصل ، خشى أن يباغته الأدميرال  
نلسن بأسطوله ، ولذلك أصدر أوامره إلى القواد بمحاصرة  
الإسكندرية ، وتطويقها من ثلاث جهات

« (١) وسارت القوة في منتصف الساعة الثالثة من صبيحة  
يوم ٢ يوليو بحذاء الشاطئ ، فوصلت تجاه أسوار المدينة عند  
شروق الشمس ، وأخذت تحاصرها في الضحى — الجنرال مينو  
من الغرب .. والجنرال بون من جهة باب رشيد .. والجنرال كليبر  
من باب سدة — بينما وقف نابليون على قاعدة عمود الموارى ،  
وآخذها معسكره العام .. يرقب منها حركة الهجوم ، ويصدر  
أوامره لقواد جيشه ... »

\*\*\*

ولم يكد السيد محمد كريم يرى الجيوش الفرنسية القادمة ...  
حتى أصدر أوامره إلى أهالي الإسكندرية بالصمود فوق الأسوار ،  
ومقاومة القوة بمثلها ، وصد المدوان بالمدوان

ووقف بنفسه فوق قلعة « قايتباى » ومعه فريق من الفاتلة  
لا يشرف على المعركة كما فعل نابليون ، ولكن ليحارب بنفسه  
كما يفعل غيره من أهالي الإسكندرية ، وليضرب لهم أروع

(١) عبد الرحمن الرافى وتاريخ الحركة القومية ج ١ ص ١٣٥

زعماء الحركة القومية

## السيد محمد كريم

للأستاذ عبد الباسط محمد حسن

( ٢ )

اقتربت الحملة الفرنسية من مياه الإسكندرية في اليوم الأخير  
من شهر يونيو — وكان الفرنسيون ينظرون إلى الشعب  
المصرى ... نظرة العملاق الضخم .. إلى القزم الضئيل — الذى  
يستطيعون سحقه في دقائق معدودات !

الم يقرأوا من قبل ما كتبه الرحالة الفرنسيون عن سهولة  
فتح مصر ؟

الم يخبرهم « فولتى » بأن الاستيلاء على البلاد ، والسيطرة  
عليها .. لا يتطلب إلا عددا قليلا من الرجال ؟

الم يبين لهم ضعف الحصون ، وقلة الذخيرة ، وعجز الإسكندرية  
عن المقاومة .. فوصفها بقوله :

« إنه ليس في المدينة سوى أربعة مدافع في حالة صلاحة —  
وليس بين الحامية التى يبلغ عددها خمسمائة من يمكنه إصابة  
المرى — بل جميعهم من الهال الماديين الذين لا يحسنون سوى  
التدخين ؟ »

فاذا ينتظر الفرنسيون بمد كل هذا الوصف الذى وصفه  
« فولتى » وغيره من الرحالة والتجار الذين زاروا مصر  
من قبل !؟

وهل تعجز مدافعهم الضخمة عن تحطيم أسوار الإسكندرية  
أو تخريب المدينة كلها إذا لزم الأمر ؟

إلا أن ذلك كله سهل يسير .. وليست هناك قوة في الأرض  
تستطيع أن توقف تقدم الجيش الفرنسى الظافر ، أو تحطم آمال  
نابليون في تكوين إمبراطورية شرقية عظيمة

الأمثلة في الجهاد والكفاح والتضحية

وحينما بدأت المركبة ، وضع المصريون أرواحهم فوق أيديهم وباعوها رخيصة في سبيل الوطن ، وجعلوا يطرون العدو بوابل من رصاص بنادقهم

وكان السيد محمد كريم - طوال المركبة - يثير النفوس ، ويستحث الهمم ، ويقوى العزائم ، وقد استطاع المصريون خلال هذه المركبة أن يواجهوا الفرنسيين ، ويقتلوا منهم عددا ليس باليسير ...

وقد أصيب الجنرال كبير أثناء الموقعة ببيار نارى في جبهته ، كما أصيب الجنرال مينو بضربة حجر أسقطته من أعلى السور ، وكادت تودى بحياته ، ولذلك كتب الجنرال مينو إلى نابليون يقول :

« (٢) إن الجنود يستحقون الثناء العظيم على ما بذلوه من الإقدام والهمة والذكاء ، وسط المخاطر العظيمة التي كانت تحيط بهم ... لأن الأهالي قد دافعوا عن المدينة بشجاعة كبيرة .. وثبات عظيم »

ولما رأى « نابليون » استماتة الشعب المصرى في الدفاع عن الاسكندرية ، نظر إلى أسوار المدينة فلاحظ أن بالسور رغم ارتفاعه وضخامته ثغرات كبيرة رمت حديثا ...

فطلب من رجاله أن يوجهوا مدافعهم تجاه هذه الأسوار ، وظلوا يضربونها حتى عجزت عن المقاومة ، وبدأ الجنود يدخلون المدينة من الثغرات التي أحدثوها ، حتى وصلوا إلى الجهة الآهلة بالسكان .. فأخذ الأهالي يطلقون عليهم الرصاص .. حتى كاد نابليون نفسه أن يصاب برصاصة قاتلة .. وكذلك قال سكرتيره الخاص :

« (٣) دخل بونابرت المدينة من حارة ضيقة .. لا تكاد لضيقها تسمع اثنين يمران جنبا إلى جنب .. وكنت أراقبه في سيره .. فأوقفتنا طلقات رصاص .. صوبها علينا رجل وامرأة من إحدى التواقذ .. واستمرا يطلقان الرصاص فتقدم جنود

(٢) نفس المصدر ص ١٢٧

(٣) عبد الرحمن الرافى : ص ١٣٦

الحرس ، وهاجموا المنزل برصاص بنادقهم ، وقتلوا الرجل والمرأة » ولقد ظل السيد محمد كريم يدافع عن المدينة ، حتى ضعفت الحامية عن المقاومة .. فكف عن القتال ، وسلم المدينة .. ولم يكن في ذلك التسليم ما يقلل من جهاد السيد محمد كريم .. وحسن بلاء أتباعه .. وإنما كان ذلك منه حكمة وحزما .. وحسن تقدير لمواقب الأمور ...

يقول أحد الحكماء :

« لا عار على أمة قليلة العدد .. ضعيفة القوة .. إذا تغلبت عليها أمة أشد منها قوة .. وإنما العار الذي لا يحويه كره الدهر .. هو أن تسمى الأمة .. أو أحد رجالها .. أو طائفة منهم .. لتمكين أيدي العدو من نواصيرهم .. »

عبد الباسط محمد حسن

لكلام مة

رَفَائِكَ

للأستاذ أحمد حسن الزيات

إحدى روائع القصصى العالى الواقعى

لشاعر فرنسا الخالد

\* لامرئين \*



منها ٧٥ ترشاهدا أجره البريد